الباب الأوَّل ٢-١

حياة ابن ماسويه

حَفِظَ التاريخ اسمَ يوحنا بن ماسويه بوصفه واحدًا من أهمِّ الأطبَّاء والمؤلِّفين الذين أنجبهم القرن التاسع الميلاديّ (الثالث الهجريّ)، ويتفق الباحثون ومؤرِّخو الطِّبِّ على أنَّ ابنَ ماسويه أحد أهمِّ مؤسّسي الطِّبِّ العربيِّ، فقد كان اهتمامُهُ منصبًّا على عددٍ كبيرٍ من فروع الطِّبِّ المختلفة، وترك مؤلَّفاتٍ فيها كُلِّها، كما أنَّه شارك في العملية التَّعليميَّة في بيمارستان بغداد[١]، وعلَّم في مجلسه الخاصّ.

وقد صار ابنُ ماسويه طبيبًا للبلاط العبَّاسيّ، فقرّبه الخلفاء[٢] ووثِقوا به وأغدقوا عليه[٣] وكذلك أوكلوا إليه رئاسة بيت الحكمة، فصار بذلك من أهمِّ أعلام بغداد في عصره، ومن الشخصيات المرموقة في المجتمع العلميّ العراقيّ[٤].

وكما صار ابن ماسويه أحد أهمِّ الأطبَّاء العرب في التاريخ، فقد كان أحد الممثلين البارزين للطِّبِّ السُّريانيِّ في المرحلة الإسلاميَّة[٥] من تاريخ الثقافة السُّريانيَّة.

١- البيمارستان الذي أمر الرشيد بإنشائه. (حكم الرشيد من: ١٧٠-١٩٣هـ=٧٨٦-٨٠٩م).

٢- المأمون: أبو جعفر، عبد الله المأمون، (حكم من: ٢١٨-١٩٨هـ=٨١٣-٨٣٣م).
والمعتصم: أبو إسحق، محمد المعتصم بالله، (حكم من: ٢١٨-٢٢٧هـ=٨٣٣-٨٤٢م).
والواثق: أبو جعفر، هرون الواثق بالله، (حكم من: ٢٢٧-٢٣٢هـ=٨٤٢-٨٤٧م).
والمتوكل: أبو الفضل، جعفر المتوكل على الله، (حكم من: ٢٣٢-٢٤٧هـ=٨٤٧-٨٦١م).

٣- وبخاصَّةٍ الواثق (أبو جعفر هرون الواثق بالله).

٤- ينقل ابن الداية (يوسف بن إبراهيم) صاحب كتاب (أخبار الأطبَّاء) (ت نحو٢٦٥هـ-٨٧٨م):
"وأقبلت به السعادة إلى أنْ صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم، وحتى غمرته الدنيا، فنال منها ما لم يبلغه أمَلُه...". يُنظر: عيون الأنباء: (١٧٨/١).

٥- باومشتارك (تاريخ الأدب السُّريانيّ) (١٩٢٢).
Anton Baumstark „Geschichte der Syrischen Literatur mit Ausschluß der christlich- palästinensischen Texte“ Bonn 1922-

-غراف (تاريخ التراث المسيحي) (١٩٤٦).
Georg Graf „Geschichte der christlichen arabischen Literatur“; Bd. I-V; Rom 1944-1953.

ابن ماسويه في المصادر:

يورد ابن النديم[١] في (الفِهرست) (عام٣٧٧هـ) اسمَ ابن ماسويه بين (المتطببين).

أمَّا ابن جلجل[٢] في (طبقات الأطبَّاء والحكماء) (عام ٣٧٧هـ) فيورد اسمه بين (حكماء الإسلام ممَّن برع في الطِّبِّ والفلسفة).

يذكر عنه ابن النديم في ترجمته القصيرة أنَّه كان (فاضلًا) (طبيبًا مقدَّمًا عند الملوك) (عالمًا) (مصنِّفًا)، وأنَّه (خدم) المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وعلى الرَّغم من قصر هذه الترجمة فقد جاء فيها أسماء عددٍ من كتب ابن ماسويه المُهمَّة.

أمَّا ترجمة ابن جلجل –على قصرها– فإنَّها تسبب مشكلةً للمؤرِّخين[٣]، ذلك أنَّ نصَّ ابن جلجل فيه خطأٌ بيّنٌ "قلّده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، ممَّا وجد بأنقرة وعمورية وبلاد الرُّوم حين سباها المسلمون، ووضعه أمينًا على الترجمة، ووضع له كُتَّابًا حُذّاقًا يكتبون"، "وخدم هرون والأمين والمأمون، وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل..."[٤].

١– الفهرست (بتحقيق فلوغل) (١٨٧١–١٨٧٢). (ص٢٨٦، ٢٩٥–٢٩٦).

٢– بتحقيق فؤاد سيّد (عام ١٩٥٥). طبقات الأطباء: (ص٦٥–٦٦).

٣– أثار هذه المسألة الأستاذ فؤاد سيّد حينما حقَّق كتاب ابن جلجل عام (١٩٥٥)، ثمَّ أثارها بعد ذلك بربع قرنٍ الأستاذ رشيد حميد حسن الجميلي في أطروحته الجامعية حول (حركة الترجمة في المشرق الإسلاميّ في القرنين الثالث والرابع للهجرة).

٤– لا نعرف ما إذا كان ابن جلجل هو الذي وقع في هذا الخطأ، أم أنَّ الناسخ كتب (الرشيد) وكان عليه أنْ يكتب (المعتصم).

وإذا كان الخطأ من الناسخ فلا بُدَّ أنْ يكون هذا الخطأ قديمًا، ذلك أنَّ أحد أصحاب كتب التراجم في القرن الحادي عشر (نعني به صاعد الأندلسي) نقل هذا الخطأ عن كتاب ابن جلجل. وكذلك فعل أصحاب كتب الطبقات والتواريخ في القرن الثالث عشر (القفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن العَبري).

والحقيقة أنَّ أنقرة وعمورية تمَّ فتحهما أيام المعتصم الذي حكم بين (٢١٨-٢٢٧هـ=٨٣٣-٨٤٢م). لذلك فإنَّ الذي "قلّد {ابن ماسويه} ترجمة الكتب"، لا بُدَّ أنْ يكون المعتصم أو الواثق، وليس الرشيد.

والمؤسف أنَّ المصادر المتأخرة نقلت عبارة ابن جلجل دون تمحيص[١].

فالقفطي[٢] ينقل ما يتعلّق بابن ماسويه عن ابن جلجل دون أنْ يسمّيه، لكنَّه ينقل أيضًا عن ابن النديم مسندًا الاقتباس بقوله: "وذكر محمَّد بن إسحَق النديم" كما ينقل عن مصادر أخرى.

أمَّا ابن أبي أصيبعة[٣] فيذكر مصدره حينما ينقل المادَّة المتعلّقة بابن ماسويه، ويسند هذا النقل: "قال سليمان بن حسّان" يقصد ابنَ جلجل، و"قال ابن النديم البغدادي الكاتب" -يقصد صاحب الفهرست-.

لكنَّ ابن أبي أصيبعة يمتلك مصادرَ كثيرةً أُخرى؛ منها:

١- صاعد الأندلسي في (التعريف بطبقات الأمم) (ت عام ٤٦٢هـ-١٠٧٠م) وظهر الكتاب عام (٤٦٠هـ-١٠٦٨م).
- القفطي في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) (ت عام ٦٤٦هـ-١٢٤٨م).
- ابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء). (ت عام ٦٦٨هـ-١٢٧٠م) (ظهر الكتاب عام ٦٦٧هـ-١٢٦٨م).
- ابن العبري في (مختصر تاريخ الدول) (المتوفى ١٢٨٦م).
- بعض هذه المصادر نقلت عن ابن جلجل نقلًا مباشرًا، وبعضها نقل عن بعضها الآخر.

٢- يُنظر: القفطي، إخبار العلماء: بتحقيق ليبرت عام (١٩٠٣). (ص٣٨٠-٣٩١). ويسمّى الكتاب أيضًا: (تاريخ الحكماء).
(Julius Lippert)

٣- يُنظر: ابن أبي أصيبعة: بتحقيق مولر عام (١٨٨٢-١٨٨٤). عيون الأنباء: (١/١٧٥-١٨٣).
(August Müller)

١- كتاب (أدب الطَّبيب) الذي ألَّفه إسحق بن عليّ الرُّهاوي[١]، وفيه نقل الرُّهاوي عن الطَّبيب عيسى بن ماسه[٢] أكثر من رواية[٣]، إحداها تتعلَّق بابن ماسويه.

ومنها: ٢- كتاب (أخبار الأطبَّاء) الذي ألَّفه يوسف بن إبراهيم[٤] المعروف بابن الداية، وفيها أيضًا رواية تتعلَّق بابن ماسويه نقلها يوسف بن إبراهيم عن جبرائيل بن بُختيشوع، أستاذ ابن ماسويه.

١- إسحق بن علي الرُّهاوي، من أهل النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، ينظر حوله:
- عيون الأنباء: (٢٥٤/١).
- أولمان: (ص٢٢٨، ٢٢٣).

٢- عيسى بن ماسه البصري، عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي وتوفي حول (٢٧٥هـ-٨٨٨م). وكان على صلة بابن ماسويه، وكذلك ببُختيشوع بن جبرائيل. ينظر حوله:
- الفهرست: (ص٢٩٦).
- تاريخ الحكماء: (ص٢٤٦).
- عيون الأنباء: (١٨٤/١).
- بروكلمان: (٢٦٧/١).
- سزكين: (٢٥٧/٣).
- أولمان: (ص١٢٢، ٢٢٨).

٣- أولمان: (ص٢٢٨).

٤- يوسف بن إبراهيم (ابن الداية). توفي عام (٢٦٥هـ-٨٧٨م). وكان على صلة بجبرائيل بن بختيشوع وبابن ماسويه. ينظر حوله:
- (الوافي بالوفيات) للصفدي: (٥٤/١).
- حاجي خليفة/ كشف الظنون: (١٨٤/١).
- سزكين: (٣٨٣/١).
- أولمان: (ص٢٢٨).

يفهم من رواية عيسى بن ماسه [١] أنَّ ابن ماسويه ولد في جنديسابور، وأنَّه جاء إلى بغداد –مع أبيه– وهو صبي[٢].

ويفهم من رواية جبرائيل بن بُختيشوع[٣] أنَّ جبرائيل هو الذي زوّج ماسويه بعد مجيئه من جنديسابور إلى بغداد، وهناك ولِدَ يوحنا[٤].

ويفهم من هذه الرواية أيضًا أنَّ جبرائيل بن بُختيشوع هو الذي رعى يوحنا بن ماسويه أثناء دراسته، ثمَّ جعله رئيس التلامذة في البيمارستان، ثمَّ جعله مسؤولًا عنه[٥].

يورد ابن أبي أصيبعة هاتين الروايتين المتناقضتين دون تعليق. أمَّا القفطي فإنَّه يكتفي بسرد الرواية الثانية على لسان ابن بُختيشوع.

ولذلك فإنَّه من الطبيعي ألَّا تحدّد المصادر سنةَ ولادة ابن ماسويه.

لكنَّ المراجع تقدّر أنَّها كانت حول عام (١٦١هـ–٧٧٧م)[٦]، وهذا رقمٌ تقريبيٌّ غير مؤكدٍ.

١– التي كتبها إسحق بن علي الرهاوي.

٢– عيون الأنباء: (١/١٧١–١٧٢). وكان مجيئه إلى بغداد بعد أنْ حصلَ والده على عمل هناك.

٣– التي كتبها يوسف بن إبراهيم.

٤– عيون الأنباء: (١/١٧٣–١٧٥).

– يقول جبرائيل أنَّه زوّج ماسويه جاريةً صقلبية كانت عند داود بن سرابيون، (واسمها رسالة) وقد ابتاعها له بثمانمئة درهم ووهبها له.

٥– "ثم رتَّبت ليوحنا –وهو غلام– المرتبة الشريفة"

"ووليته البيمارستان" "وجعلته رئيس تلامذتي..."

عيون الأنباء: (١/١٧٥).

٦– بروكلمان وسارتون لا يحدِّدان سنة ولادته.

– مايرهوف: (١٦١هـ–٧٧٧م) (ص٢١٩): طبُّ العيون عند ابن ماسويه.

– سزكين: (١٦٠هـ–٧٧٦م) (ص٢٣١).

– أولمان: (١٦١هـ–٧٧٧م) (ص١١٢).

– سامي حمارنة، فهرس مخطوطات...: (١٦٢هـ–٧٧٨م) (ص٧٣٩).

أمَّا سنة وفاته[١] فكانت (٢٣٤هـ-٨٥٧م) في سامرّاء.

وقد أمضى ابن ماسويه حياته كُلَّها في بغداد وسامرّاء منشغلًا في الممارسة الطِّبِّيَّة والتعليم والتَّأليف، وفي إدارة بيت الحكمة[٢] والإشراف على ترجمة (الكتب الطِّبِّيَّة القديمة)[٣].

ويقال أيضًا إنَّه اهتمَّ بالتشريح، فشرَّح القِرَدة[٤].

لكُلِّ ذلك عُدَّ ابن ماسويه من أهمِّ الشخصيات في بغداد، وبخاصَّةٍ لعلاقته المميزة بالخلفاء[٥]، وصار مجلس يوحنا بن ماسويه في بغداد:

"أعمرَ مجلسٍ... بمدينة السلام لمتطببٍ أو متكلمٍ أو متفلسفٍ، لأنَّه كان يجتمع فيه كُلُّ صنفٍ من أصناف أهل الأدب"[٦].

وإذا كانت هذه المصادر العديدة لم تذكر لنا سنة ولادة ابن ماسويه ومكانها، فإنَّها أيضًا لم تكن واضحةً في ما يتعلَّق **بعمله في الترجمة**، هل قام بالترجمة

١- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء: (١٨٢/١): "كانت وفاة يوحنا بن ماسويه بسر من رأى يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل".

٢- يرى الديوه جي (١٩٧٢) أنَّ المأمون هو الذي عيّن ابن ماسويه رئيسًا لبيت الحكمة.
سعيد الديوه جي (بيت الحكمة) الموصل (١٩٧٢) صفحة: (٣١).
وكذلك سامي حمارنة، فهرس مخطوطات... (عام ١٩٩٤) (ص٧٣٩).

٣- عبارة ابن جلجل، طبقات الأطباء: (ص٦٥):
"قلّده (الرشيد!) ترجمة الكتب القديمة الطِّبِّيَّة ممّا وُجِدَ بأنقرة وعمورية وبلاد الروم".
"ووضعه أمينًا على الترجمة".
"ووضع له كُتَّابًا حُذاقًا يكتبون".
يُنظر: أولمان: (ص١١٢).

٤- يوافق سارتون على ما قالته المصادر العربية حول (تشريح القردة).
سارتون: (١/ ٥٧٤).

٥- رواية ابن أبي أصيبعة على لسان ابن ماسويه: صار (نديمًا) و(سميرًا) للخلفاء.
عيون الأنباء: (١/ ١٧٨).

٦- شهادة شخصية من يوسف بن إبراهيم الذي كان يعرف ابن ماسويه معرفة جيّدة.
عيون الأنباء: (١/ ١٧٥).

بنفسه؟ أم أنَّه كان مسؤولًا عن عملية الترجمة التي يقوم بها آخرون؟ ذلك أنَّ ابن ماسويه نشأ في بغداد، وفيها كان تحصيله العلميّ[١]. فهل تعلّم اليونانيَّة أو الفارسيَّة؟

لقد كانت السُّريانيَّة لغته الأم، وكانت العربيَّة لغة البيئة التي نشأ بها، ولغة كثيرٍ من العلماء الذين اختلط بهم[٢]، بينما كانت السُّريانيَّة لغة أساتذته[٣] ولغة كبار أطبَّاء بغداد الذين كانت له بهم علاقةٌ وثيقةٌ، وبخاصَّةٍ أطبَّاء البلاط العبَّاسيّ[٤].

فما هو مدى إتقانه للعربيَّة؟ وبالتالي ما هي قدرته على الترجمة إلى العربيَّة؟ ومن أيّ اللُّغات؟

كُلُّ هذه معلوماتٌ ضروريةٌ لمعرفة ما إذا كان ابن ماسويه يترجم بنفسه، أم أنَّه كان يدير عملية الترجمة ويشرف عليها بوصفه أحد كبار علماء بغداد، وأحد الذين كانوا موضع ثقة الخلفاء[٥].

١- في بيمارستان بغداد الذي أسَّسه الرشيد.

٢- وأهمّهم حنين ابن إسحق.

٣- وأهمّهم جبرئيل بن بُختيشوع.

٤- ومنهم سلمويه بن بنان الطبيب الخاصّ للمعتصم. وقد كانت ثقة المعتصم به مطلقة، وكذلك بأخيه إبراهيم بن بنان. وكان المعتصم يسمّيه (أبي). فلما مات سلمويه "حزن عليه حزنًا شديدًا". عيون الأنباء: (١٦٥/١).

وكان المعتصم قد قال: "سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة". وهذه الرواية نقلها عيسى ابن ماسه عن ابن ماسويه وحفظها إسحق بن علي الرهاوي في كتابه (أدب الطبيب). عيون الأنباء: (١٦٥/١).

وينقل إسحق بن حنين عن أبيه: "سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب": عيون الأنباء: (١٦٥/١).

٥- ينقل أولمان عن مايرهوف أنَّ ابن ماسويه قام بنفسه ببعض الترجمات، لكنَّها لم تصل إلى عصرنا. أولمان: (ص١١٢-١١٥).

مايرهوف: (١٩١٥) (طبُّ العيون عند ابن ماسويه): (ص٢١٩).

إذا عدنا إلى المصادر فإنَّنا نلاحظ ما يأتي:

أولًا– إنَّ (ابن النديم لم يذكر ابن ماسويه بين المترجمين ونقلة العلوم)[١].

ثانيًا– إنَّ ابن أبي أصيبعة لم يذكر ابن ماسويه في الباب[٢] الذي سمَّاه "طبقات الأطبَّاء النقلة الذين نقلوا كُتُبَ الطِّبِّ وغيره من اللسان اليونانيِّ إلى اللسان العربيِّ، وذِكْرُ الذين نقلوا لهم"[٣].

وفي هذا الباب زاد عدد النقلة عن الثلاثين، وزاد عدد الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم عن العشرة.

فهل نفهم من ذلك أنَّ ابن أبي أصيبعة لا يعدُّ ابن ماسويه من النقلة، ولا ممَّن كان يُنْقَلُ لهم؟

وكيف نفسّر ما قاله ابن أبي أصيبعة في معرض الحديث عن محمَّد بن عبد الملك الزيات[٤]: "... وكان أيضًا ممَّن نُقِلَتْ له الكتب اليونانيَّة، وتَرْجَمَتْ باسمه جماعةٌ من أكابر الأطبَّاء مثل يوحنا بن ماسويه وجبرئيل بن بُختيشوع وبُختيشوع ابن جبرئيل..."؟

كيف نفهم عبارة ابن أبي أصيبعة؟

إنَّ ما كتبه ابن أبي أصيبعة لا يعطي جوابًا شافيًا على سؤالنا: (هل كان ابن ماسويه يحسن الترجمة)؟

١– عبارة الأستاذ فؤاد سيد، وهذا صحيح. طبقات الأطباء: (ص٦٥، هامش ٢٢).

٢– الباب التاسع من عيون الأنباء في طبقات الأطباء. عيون الأنباء: (١/ ٢٠٣).

٣– عبارة ابن أبي أصيبعة.

٤– عيون الأنباء: (١/ ٢٠٦): "... فأمَّا الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم خارجًا عن الخلفاء... ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات...".

– محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر المعروف بابن الزيات. وزير المعتصم والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب. قتله المتوكل في ٢٣٣هـ الموافق ٨٤٧م.

فكيف نفهم إذًا عبارة ابن جلجل[١]:

١- قَلَّده ترجمةَ الكتب القديمة.

٢- ووضعه أمينًا على الترجمة؟

الأقرب إلى الذهن أنَّ ابن جلجل أراد أنْ يقول إنَّه كلّفه بالإشراف على الترجمة، أيْ أنَّ عمله كان إداريًّا.

ويرى بعض الباحثين في تاريخ الطِّبِّ العربيِّ أنَّ التناقض الذي نجده في الروايات المتعلِّقة بحياة ابن ماسويه لا يسمح لنا بأخذ صورةٍ واضحةٍ عن حياته[٢].

وينفرد فؤاد سيّد -بين الباحثين- بالقول: إنَّ "ابن ماسويه لم يتّصل بالرشيد"[٣].

لكنَّ معظم المؤرِّخين يتفقون على أنَّ ابن ماسويه كان طبيبًا قديرًا وعالمًا مرموقًا أيام المأمون[٤]، وأنَّ المأمون هو الذي أناط به مسؤولية إدارة بيت

١- طبقات الأطبَّاء: (ص٦٥).

٢- مايرهوف، بروفر.

على سبيل المثال، في بحثٍ لهما عن (طبّ العيون عند ابن ماسويه) (١٩١٥).

٣- فؤاد سيّد في التعليق على نصّ ابن جلجل: (ص٦٥، هامش ٢٢).

- وفؤاد سيّد أقدر من عرف التناقضات التي تزخر بها كتب الطبقات والتراجم.

- كان ابن ماسويه صبيًّا حينما تولى الرشيد الخلافة عام (١٧٠هـ-٧٨٦م)، وكان عمره يقرب من الثلاثين عامًا حينما توفي الرشيد عام (١٩٣هـ-٨٠٩م).

لذلك فإنَّ فؤاد سيّد على حق حينما يستبعد اتّصالًا مُهمًّا لابن ماسويه بالرشيد، لكنَّ ابن ماسويه يمكن أنْ يكون قد قُدِّمَ إلى الرشيد عن طريق أستاذه جبرئيل بن بُختيشوع.

٤- حكم المأمون بين (١٩٨ و٢١٨هـ=٨١٣ و٨٣٣م).

الحكمة[١]، وأنَّ نجمه ظَلَّ ساطعًا أيام المعتصم[٢] والواثق[٣] وحتى وفاته عن عمر يناهز الثمانين عامًا سنة (٢٤٣هـ-٨٥٧م) أيام المتوكل[٤].

وكما تحفل المصادر بالتناقضات المتعلِّقة بتفاصيل حياة ابن ماسويه، فإنَّها تحفل أيضًا بالتناقضات في وصفه، وبخاصَّةٍ في وصف أخلاقه الشَّخصيَّة.

ولعلَّ أبشع ما قيلَ فيه هو ما نقله ابن أبي أصيبعة[٥]: إنَّ ابن ماسويه هو الذي كان مسؤولًا عن وفاة المأمون بتدخلٍ جراحيٍّ أجراه أحد تلامذته بطلبٍ منه، وكان يعرف أنَّ مرض الخليفة لا يعالَج بالجراحة. ويعلِّق ابن أبي أصيبعة مفسّرًا

١- كان ذلك عام (٢١٥هـ-٨٣٠م).

يُنظر: فؤاد سيّد: طبقات الأطباء: (ص٦٥).

أولمان: (ص١١٢-١١٣).

٢- حكم المعتصم بين (٢١٨ و٢٢٧هـ=٨٣٣ و٨٤٢م).

٣- حكم الواثق بين (٢٢٧ و٢٣٢هـ=٨٤٢ و٨٤٧م).

ويقول ابن أبي أصيبعة: "كان الواثق مشغوفًا ضنينًا به".

٤- حكم المتوكل بين (٢٣٢ و٢٤٧هـ=٨٤٧ و٨٦١م).

٥- عن (الصولي) في كتابه (الأوراق).

- أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكًا بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م.

نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، هم: الراضي والمكتفي والمقتدر، وكان من أحسن الناس لعبًا بالشطرنج، حتى عرف بالشطرنجي. ترجم له ابن النديم ترجمة مفردة في الفن الثالث من المقالة الثالثة في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب) طبعة طهران: (ص١٦٧-١٦٨). طبعة فلوغل: (ص١٥٠)، كما ترجم له الزركلي في الأعلام.

له عدة تصانيف، منها: (الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم).

ما قام به ابن ماسويه: "كونه عديمًا للمروءة والدِّين والأمانة" "ولا له تمسّك بدينه"[١].

وليس أقل من هذا الحكم ما قاله يوسف بن إبراهيم نقلًا عن سلمويه: "يوحنا أجهل خلق الله بمقدار الداء والدواء..." "لجهله بمقادير العلل والعلاج"[٢].

هذه الأحكام ينقلها ابن أبي أصيبعة في الوقت الذي يَصِفُ فيه ابن ماسويه بأنَّه "كان طبيبًا ذكيًّا فاضلًا خبيرًا بصناعة الطِّبِّ وله كلامٌ حسنٌ وتصانيف مشهورةٌ، وكان مُبَجَّلًا حَظِيًّا عند الخلفاء والملوك"[٣].

ويصفه يوسف بن إبراهيم بـ(ضيق الصدر) و(شدّة الحِدَّة) وأنَّ فيه (دعابةً شديدةً)[٤].

ويروي ابن أبي أصيبعة الحكاية الشهيرة في حياة حنين بن إسحق، وكيف أنَّه كان يحضر مجلسَ ابن ماسويه –حينما كان صبيًّا في أولى مراحل دراسته– وكيف أنَّه طرح سؤالًا على الأستاذ فما كان من ابن ماسويه إلَّا أنْ غضب وانتهره موجهًا إليه كلامًا قاسيًا، وهذا ما دعا حنينًا إلى مغادرة المجلس إلى غير رجعة.

ويكمل لنا ابن أبي أصيبعة بقية الحكاية حينما عاد حنين من بلاد الرُّوم وقد صار ضليعًا باللُّغة اليونانيَّة، كيف أنَّ ابن ماسويه استرضاه ثمَّ حَرَص على صداقته وزمالته، حتى أنَّه قَدَّمَ إليه أحد كتبه[٥]، تعبيرًا عن الصلة الحسنة أو الإعجاب.

١- عيون الأنباء: (١/ ١٨٢).
٢- عيون الأنباء: ١/ ١٦٧-١٦٨).
٣- عيون الأنباء: (١/ ١٧٥).
٤- عيون الأنباء: (١/ ١٧٦).
٥- كتاب الفصول.

أمام هذه الروايات التي حَفِظَها لنا ابن أبي أصيبعة والتي تعجّ بالمبالغات، والتي قد ينمُّ بعضها عن موقفٍ شخصيٍّ من ابن ماسويه، أمام هذه الروايات يحسن بنا اللجوء إلى حنين بن إسحق الذي يعرِفُ ابن ماسويه حقّ المعرفة، والذي يشهد له التاريخ بدرجةٍ عاليةٍ من الأمانة والنزاهة وسموّ الأخلاق، ما يعطي شهادته قدرًا رفيعًا من الأهمية.

يقول حنين في رسالته الشهيرة إلى عليّ بن يحيى المنجّم[1] –وهذه الرسالة تعدُّ وثيقةً فريدةً من نوعها في تاريخ الطِّبِّ العربيِّ– يقول عن ابن ماسويه: "إنَّ هذا الرجل يحبُّ الكلام الواضحَ، ولا يزال يَحُثُّ عليه..."[2].

ولعلَّ هذا ما يفسر لنا أنَّ ابن ماسويه كان يرغب أنْ تُترجَمَ له كتب جالينوس إلى السُّريانيَّة وليس إلى العربيَّة، وذلك بحثًا عن (الوضوح)؛ فالسُّريانيَّة لغته الأمّ، والنَّصّ العربيّ ليس أسهل فهمًا من النَّصِّ السُّريانيِّ عند ابن ماسويه الباحث عن (الوضوح).

١– كان حنين قد كتب وهو في أوج نشاطه العلميّ رسالةً إلى بعض العلماء السُّريان حول كتب جالينوس التي تُرجِمَت بعلمه، وعن بعض الكتب التي لم تُتَرجم. وقد ضاعت مكتبة حنين حين سجنه المتوكل، فلم تعد هذه الرسالة بين يديه. وبعد سنين طلب إليه صديقه عليّ بن يحيى المنجّم –وهو أحد كبار رجال الدولة– أنْ يكتب له بالعربيَّة مثل هذه الرسالة، فكتبها حنين من الذاكرة، بعد أنْ ضاعت كُتُبُهُ، أيام نكبته. وفي هذه الرسالة نجد أوثق المعلومات عن تراث جالينوس الطِّبّيّ الذي انتقل إلى السُّريان وإلى العرب. ولهذه الرسالة مكانة فريدة في تاريخ الطِّبِّ حتى أنَّ العلماء يعتمدون عليها حينما يقومون بتعداد الكتب التي ألَّفها جالينوس، وبخاصَّةٍ عند ذكر محتواها. وكان بيرغشترسر قد حقّق هذه الرسالة وترجمها إلى الألمانيَّة، ثُمَّ نشرها عبد الرحمن بدوي بالعربيَّة دون أنْ يُدخِل عليها أيَّ تعديل.

٢– رسالة حنين إلى المنجّم: (نشر بدوي): (ص١٥٢–١٥٣).

من رسالة حنين نعرف أسماءَ العلماء الذين كانوا يطلبون من حنين أنْ يُترجِمَ لهم كتب جالينوس إلى العربيَّة[١]، وكذلك العلماء الذين كانوا يرغبون أنْ تُتَرجم هذه الكتب إلى السُّريانيَّة[٢] لغتهم الأمّ.

ومن كُتُب جالينوس التي طلَبَ ابنُ ماسويه أنْ تُتَرجَمَ له إلى السُّريانيَّة بعض الكتب المختصَّة بعلم التَّشريح، ومنها:

- في علاج التَّشريح.
- في العظام.
- في العَضَل.
- في العروق.
- في العَصَب.
- فيما وقع من الاختلاف في التَّشريح.

١- ومنهم:

أبو جعفر محمَّد بن موسى بن شاكر.

وأبو الحسن أحمد بن موسى بن شاكر.

- لم تذكر المصادر تاريخ ولادة موسى بن شاكر وكذلك نشأته وتلقيه العلم في بغداد، وكل الذي عرف عن هذه الأسرة أن الأب موسى كان في زمن الخليفة العباسي المأمون في القرن الثالث الهجري، يتولى شؤون الفلك في بلاط الخليفة المأمون وذلك في حدود سنة ١٩٨-٢١٨هـ.

اشتهر الأبناء الثلاثة لموسى بن شاكر، وهم محمد وأحمد والحسن، باسم بنو موسى، أو الإخوة الثلاثة. وقد كان أكبرهم أبو جعفر محمد عالمًا بالهندسة والنجوم و"المجسطي"؛ وكان أحمد متعمقًا في صناعة الحيل (الهندسة الميكانيكية) وأجاد فيها، وتمكن من الابتكار فيها؛ أما الحسن فكان متعمقًا في الهندسة. توفي أكبرهم سنة ٢٥٩هـ - ٨٧٢م.

٢- ومنهم:

جبرائيل بن بُختيشوع، وبُختيشوع بن جبرائيل بن بُختيشوع، وسلمويه بن بنان، ويوحنا بن ماسويه.

وهذا مثالٌ واضحٌ على اهتمام ابن ماسويه اهتمامًا خاصًّا بعلم التشريح، وهذا ما أشارت إليه المصادر. كما أنَّه يؤكّد رغبةَ ابن ماسويه في أنْ تُنقَلَ له الكتب إلى السُّريانيَّة وليس إلى العربيَّة.

وهناك مثالان أكثر وضوحًا على رغبة ابن ماسويه في أنْ تُنقَلَ له الكتب إلى السُّريانيَّة:

المثال الأوَّل[١] هو كتاب جالينوس (في حركة الصَّدر والرِّئة)، والمثال الثاني[٢] هو كتاب جالينوس (في الصَّوت).

والكتابان كانا قد ترجما إلى العربيَّة، ومع ذلك رَغِبَ ابن ماسويه أنْ يُترجمَ الكتابان من العربيَّة إلى السُّريانيَّة.

١- رسالة حنين: بدوي: (ص١٦١-١٦٢): يقول حنين: "... ثمَّ سأل يوحنا بن ماسويه حُبيشًا أنْ ينقله من العربيَّة إلى السُّريانيَّة، فنقله له...".

وحبيش هو المترجم الشهير، وابن أخت حنين، (حبيش بن الحسن الأعسم الدمشقي). (توفي أواخر القرن التاسع الميلادي- الثالث الهجري).

٢- رسالة حنين: بدوي: (ص١٦٢): يقول حنين: "... وقد كان يوحنا بن ماسويه سأل حُبيشًا ترجمةَ هذا الكتاب من العربية إلى السريانية فترجمهُ له".